وَرَعُ المتقدِّمين من فِتنة المال وهَلَعُ المتأخِّرين في جَمْعه مِن حرام أو حلال

2023-09-01

الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الحَلالِ عَنِ الحَرَامِ غِنًى وَكِفَايَةً، وَجَعَلَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَحَلَّ أَعِفَّةً ذَوِي هِدَايَةٍ، فسبحانه من إله جَعَلَ الْوَرَعَ وِقَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَخَافَتِهِ مَا بَاعَدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُخَالَفَتِهِ، فله الحمد على ما أعطى، وله الشكر على ما أولى، ونسأله المزيد من فضله الذي لا يُحصى. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الملك المنّان، يسّر لنا الأسباب المانعة من الضلال والإفتتان، ووضّح لنا الفتن وبيّن لنا الأسباب التي نتحصّن بها أعظم بيان، وأشهَد أنّ سيِّدَنا محمّدًا عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. أَمَرَ بِاتِّقَاءِ الشُّبُهَاتِ، وَحَذَّرَ مِنَ الإقْتِرَابِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ.

يا أمّةً لنبيٍّ نُورُه سطعَا * وعزّ مقداره في المجد وارتفعَا

كم سَدّ فاقةَ محتاجٍ وكم نفعاَ * هذا الذي بالهُدى والدِّين قد صدعَا

صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَنْ سمعَا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. صفوة الأصفياء المتوَّجين بتاج الجلال والجمال. وعلى آله الذين هم خير عِتْرة وأشرف آل. وصحابته نجوم الهداية وحسنات الأيام والليال. صلاة تصلح بها منّا الأقوال والأفعال. وتوفّقنا بها لصدق النية وصالح الأعمال. وتلهمنا بها حُجَّتَنَا المنجية يوم العرض والسؤال. وتجعلنا بها من الآمنين المطمئنّين عند تراكم الزلازل والأهوال. يا من إليه المفزَع في الحال والمآل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الموفَّق السعيد هو مَن وقف عند حدود الله، واستمسك بهدي سيّدنا رسول الله. صلى الله عليه وسلم. ففي الموطّأ عن إمامنا مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ

بَلَغَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم)). فالقرآن والسنّة بيّنا وأوضحا ووجّها وحذّرا وأنذرا وأخبرا وبشّرا، واتّباعهما هو العاصم من الفتن. ومعلوم أنه ما من شيء أخطر وأثقل على المرء من الإلتزام بالإبتعاد عن الفتن؛ لذلكم فقد ثبت في سُنن أبي داود ومسند أحمد وغيرهما عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: أَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فواهًا)). أي فهنيئاً له. وسنتكلّم اليوم إن شاء الله عن فتنة هي من أشدّ الفتن، بل هي فتنة هذه الأمّة. فقد روى الترمذي والنسائي في وأحمد عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنَّ لكلِّ أُمَّةٍ فتنةً وإنَّ فتنةَ أُمَّتي المالُ)). أيّها المسلمون. لو نظرنا إلى الموقف من المال بين السلف والخلف، والمتقدِّمين والمتأخِّرين، لوجدنا فرقاً كبيرا. كالفرق الذي بين السماء والأرض بين هؤلاء وهؤلاء، وصدق النَّبِي صلى الله عليه وسلم إذ يقَول في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لَيَأْتِيَنَّ علَى النَّاسِ زَمانٌ، لا يُبالِي المَرْءُ بما أخَذَ المالَ، أمِنْ حَلالٍ أمْ مِن حَرامٍ)). لقد كان السلف الصالح يتنبّهون لأمر المال، ويخافون من مغرياته وشهواته، ويعلمون مدى تأثيره على الإنسان، وصَرْفه له عن الخير، ويدركون جيّداً تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من شروره وغوائله. أمّا اليوم، فمعظم الناس تجدهم قد تمكّن حب المال في قلوبهم، ولم يعودوا يبالون بحلاله وحرامه، وإنّما يبالون بمجرّد جلْبه والحصول عليه، ويحبون الإستكثار منه دون خوفٍ أو وجلٍ من عاقبته، إذ حذّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة المال. فقال في الحديث المتّفق عليه: ((إنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ. إلاَّ مَنْ قَالَ بالمَالِ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا عن يمينِهِ وعن شِمَالِهِ ومنْ خَلْفِهِ. وَقَلِيلٌ مَا هُمُ)). أيْ أنّ المال مغرٍ للنفوس،

وسبب في إبعادها عن الله والدار الآخرة، إلا مَن تصدّق به، وقال به هكذا وهكذا، أيْ وزّعه وأنفقه ولم يُبقي منه شيئا. أيّها المسلمون. كان السلف يخافون من نعمة المال أشد الخوف، حتى كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا فتح الله على المسلمين بلداً من البلدان، وغنموا غنائمه. وكان الناس يضحكون ويمرحون إلا هو فكان يبكي ويقول كما في الصحيحين: لقد سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)). وفي سيرة السلف أنهم كانوا يتعاملون مع المال الذي عندهم بورعٍ شديد، وخوفٍ كبير، ورعٌ في جلْبه، وورعٌ في بقائه، وورع في صرْفه؛ لأنهم يعلمون أنّ أقدامهم لن تزول يوم القيامة حتى يُسألوا عن أموالهم كيف اكتسبوها، وفيما أنفقوها؟ وذلك لتمسّكهم بالسنّة النبوية الشريفة. ففي الحديث الذي رواه الترمذي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)). أمّا اليوم فلا أقول ضَعُف الورع وقلّ الخوف، وإنما انعدم الورع، وتلاشى الخوف من قلوب أكثر الناس تجاه المال، فتجدهم غير مبالين بوسائل جلْبه، ولا يتورّعون في تصريفه، وإنما جشعٌ كبير، وحرصٌ شديد، ولا مبالاة مخيفة بوسائل كسْبه وتعاطيه وإخراجه. والله المستعان. وفي حلية الأولياء لأبي نعيم. يقول يحيى بن معاذ رحمه الله: (نَّ الدِّرْهَمَ عَقْرَبٌ، فَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ رُقْيَتَهُ فَلَا تَأْخُذْهُ بِيَدِكَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَدَغَكَ قَتَلَكَ). أيّها المسلمون. إنّ السلف المتقدِّمين كانوا يتجنبون كل المعاملات المشبوهة ولو كان فيها مثقال ذرة من شبهة، أمّا المعاملات المحرّمة فهي من باب أولى. وأمّا اليوم فإنّ كثيراً من المتأخِّرين يعلمون حرمة كثير من المعاملات، ويعلمون عدم شرعيّتها، ومع ذلك يتقصدّون التعامل بها؛ لتحقيق مصلحة مادية، أو كسبٍ شخصي، والله تعالى يقول في سورة النساء: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)). كثيرٌ في زماننا من يعلم حرمة الربا، ومع ذلك يتعاملون به، ويضعون أموالهم في بنوكه، ويأكلون فوائده، ولا يتورّعون عنه، ثم يقرؤون قول الله تعالى في سورة آل عمران: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))، ويسمعون قوله سبحانه في سورة البقرة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)). ومع ذلك لا يكفّون ولا ينتهون. ويأكلون أموال المساكين والمستضعَفين واليتامى والورثة بغير حق، وهم يعلمون التحذير الأكيد، والوعيد الشديد على ذلك. قال تعالى في سورة النساء: ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)). ويتعاملون بالرشوة والنصب والإحتيال. عَبْر الطرق الملتوية. والأساليب المختلفة، أمّا المتقدِّمون فكانوا بعيدون كل البُعد عن هذا كله. أيّها المسلمون. لقد كان السلف رضي الله عنهم في قمّة الحذر، وفي غاية الخوف من أن تصل إلى أجوافهم ولو لقمة من الحرام، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخير خلق الله. وأتقاهم لله، يقول في الحديث الذي رواه مسلم: ((إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا)). وهذا البخاري يروي لنا: ((أنّ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وأرضاه. كان له غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ. فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ. فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ)). ورُوي: ((أنّ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرب لبنًا فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ فقال: مررتُ بإبل الصدقة وهم على ماء، فأخذتُ من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاء)). وهذه إمرأة من الصالحات تقول لزوجها: (اتّق الله في رزقنا، فإنّا نصبر على الجوع، ولا نصبر على

النار). أيّها المسلمون. إنَّ الإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ وَرِعًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْـبَغِي أَنْ يَتَوَرَّعَ فِيهِ هُوَ الْمُعَامَلاتُ الْمَالِيَّةُ، فَالْقَلِيلُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ يُورِثُ النَّارَ، فَعَلَيْهِ أَنْ لا يَقْتَرِبَ مِمَّا لَيْسَ لَهُ، سَواءً كَانَ ذَلِكَ مِنْ مَالِ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ أَوْ مِنْ مَالٍ تَابِعٍ لأَيِّ مُؤَسَّسَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ، وَأَنْ يَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الرَّشَاوِي وَمَا شَابَهَهَا، بِحُجَّةِ أَنَّهَا هَدِيَّةٌ مِنَ الْمُرَاجِعِينَ، فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ الْفَطِنُ أَنْ تَكُونَ وَرِعًا حَتَّى لا تَكُونَ تِلْكَ رَشْوَةً فَتَحْـمِلَ وِزْرَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدِ جا في السيرة النبوية الشريفة: ((أنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى: ابْنَ الأُتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فَهَلاَّ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّـكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلاّنِي اللهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا، وَاللهِ لا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلاَّ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، فَمَنْ كَانَ عَلَى وَظِيفَةٍ مِنَ الْوَظَائِفِ، لا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا مِنَ الْمُرَاجِعِينَ لإِتْمَامِ مُعَامَلاتِهِمْ، فَإِنَّهُ يَفْتَحُ لِنَفْسِهِ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْحَرَامِ، وَيُشَجِّعُ بِعَمَلِهِ ذَلِكَ عَلَى انْتِشَارِ الرَّشَاوِي الَّتِي تُؤْذِنُ بِفَسَادٍ عَظِيمٍ وَخَلَلٍ جَسِيمٍ فِي أَنْظِمَةِ الدَّوْلَةِ وَإِجْرَاءَاتِهَا، مِمَّا يُمَهِّدُ لانْتِكَاسَاتٍ لا يَعْلَمُ عَاقِبَتَهَا إِلاَّ اللهُ تَعَالَى. فَاتَّقِ اللهَ ـ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْفَطِنُ ـ وَاحْـذَرْ مِنْ أَنْ تَخْلِطَ الْحَرَامَ بِمَا رَزَقَكَ اللهُ مِنْ رِزْقٍ حَلالٍ، فَلَيْسَتِ الْعِبْرَةُ بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِحِلِّيَّتِهَا وَكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا وَأَثَرِهَا فِي نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ. أيّها المسلمون. وأختم بهذا الحديث العظيم، وأترك التعليق لكل فردٍ منّا؛ لينظر الفرق بين وَرَعِ المتقدّمين من فِتنة المال وهَلَعِ المتأخِّرين في جَمْعه مِن حرام أو حلال. روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا

ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا)). نسأل الله تعالى أن يرزقنا الورع، وأن يجعلنا من أهل الورع. وأن يعيننا على ترك الشبهات، وترك المحرّمات. اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمّن سواك، يا رب العالمين. اللهم املأ قلوبنا بتقواك، واجعلنا نخشاك كأنّا نراك، وبارك لنا في القرآن والسنّة. وانفعنا بما فيهما من الآيات والحِكمة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ